Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 54, No. 1, 2027, 9677

Body Between Perception and Power: An Analysis of Merleau-Ponty's Philosophy and its Contemporary Social Contexts

Maram Abdul Latif Marie*

Department of Philosophy, School of Arts, University of Jordan, Amman, Jordan

Received: 10/11/2024
Revised: 19/12/2024
Accepted: 25/2/2025
Published online: 1/10/2026

* *Corresponding author:*
marammarie.mm@gmail.com

Citation: Marie, M. A. L. (2026). Body Between Perception and Power: An Analysis of Merleau-Ponty's Philosophy and its Contemporary Social Contexts. *Dirasat: Human and Social Sciences*, 54(1), 9677.
https://doi.org/10.35516/Hum.2026.9677

© 2027 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives:This study aimed to explore the body as a perceptual and social mediator that reshapes the relationship between the Self and world through the phenomenological philosophy of Maurice Merleau-Ponty (1908-1961). It also aimed to examine the dynamics of power and resistance exercised on or through the body, with a particular focus on social movements as spaces for renegotiating individual and collective identities. Additionally, the study aimed to investigate the impact of technology and cultural transformations on the construction of the body and identity, highlighting its role as an agent of change in addressing contemporary challenges.

Methods: The study employed a critical philosophical analysis of Merleau-Ponty's conceptualization of the body, alongside a comparative critique of his ideas with those of Foucault (1926-1984) and Arendt (1906-1975). Contemporary examples from social movements and digital technologies are integrated to contextualize the analysis.

Results: The study results showed that the body transcends its materiality to function as a dynamic medium for creative interaction and social resistance. It also revealed that technology redefines the body's role as a site of conflict between freedom and domination, while also offering new possibilities for cultural and political transformation.

Conclusions: This study concludes that the body incarnates a dynamic center that intertwines perception, resistance, and creativity, enabling the reconfiguration of social and political relations. However, it faces significant challenges in the age of modern technology and institutional surveillance, necessitating a comprehensive philosophical vision that reinforces its role as a tool for liberation and change.

Keywords:Body, Perception, Resistance, Merleau-Ponty, Technology.

الجسد بين الإدراك والسُّلطة: قراءة في فلسفة ميرلوبونتي وسياقاتها الاجتماعيَّة المعاصرة

مرام عبد اللطيف مرعي*

قسم الفلسفة، كليَّة الآداب، الجامعة الأردنيَّة، عمان، الأردن

ملخّص

الأهداف: يهدف البحث إلى دراسة الجسد كوسيط إدراكي واجتماعي يعيد تشكيل العلاقات بين الذات والعالم عبر فلسفة الفيلسوف الفرنسي موريس ميرلوبونتي (Maurice Merleau-Ponty) (1908-1961) الظاهراتية. كما يحلل ديناميكيات السلطة والمقاومة التي تُمارَس على الجسد أو عبره، مع التركيز على الحركات الاجتماعية كمساحات لإعادة التفاوض على الهويات الفردية والجماعية. يتناول البحث أيضًا أثر التكنولوجيا والتحولات الثقافية على تشكيل الجسد والهوية، مع إبراز دوره كأداة للتغيير في مواجهة التحديات المعاصرة.

المنهجية: اعتمد البحث على تحليل فلسفي نقدي لرؤية ميرلوبونتي حول الجسد، مع مقارنة نقدية لأفكاره بأعمال ميشيل فوكو(Michel Foucault) (1926-1984) وهانا أرندت (Hannah Arendt) (1906-1975)، وتوظيف أمثلة سياقية معاصرة من الاحتجاجات الاجتماعية والتكنولوجيا الرقمية.

النتائج: أثبت البحث أن الجسد يتجاوز كونه كيانًا ماديًا، ليصبح وسيطًا للتفاعل الإبداعي والمقاومة الاجتماعية. كما أظهرت الدراسة أن التكنولوجيا تعيد تشكيل أدوار الجسد كمساحة للصراع بين الحرية والهيمنة، مع إمكانات جديدة للتحول الثقافي والسياسي.

الخلاصة: الجسد هو مركز ديناميكي يجمع بين الإدراك والمقاومة والإبداع، وقادر على إعادة صياغة العلاقات الاجتماعية والسياسية. ومع ذلك، يواجه تحديات في ظل التكنولوجيا الحديثة والمراقبة المؤسسية؛ مما يستدعي رؤية فلسفية شاملة تعزز دوره كأداة للتحرر والتغيير.

الكلمات الدالَّة: الجسد، الإدراك، المقاومة، ميرلوبونتي، التكنولوجيا.

المقدِّمة

لطالما هيمنت على الفكر الفلسفي ثنائيات راسخة، كالفصل بين الذات والعالم، العقل والجسد، والمادي والمجرد، وكأنها حدود غير قابلة للتجاوز. لكن موريس ميرلوبونتي، في مشروعه الفينومينولوجي الجريء، قاد انقلابًا فكريًا يُهدم أركان هذه الثنائيات، ليُعيد تشكيل الفلسفة على أساس إدراك يتجذر في الجسد الحي. في رؤيته، يتحول الجسد من مجرد كيان مادي إلى وسيط ديناميكي، تتقاطع فيه الحواس مع الفكر، والذات مع العالم، ليصبح ساحة إبداع مستمر تتجاوز حدود التجربة الفردية نحو فضاء مشترك يعاد فيه بناء المعنى والوجود معًا (Carman, 2008, p.2؛ بو عزة، 2020، ص 13).

في هذا السياق، يُعيد ميرلوبونتي تعريف الإدراك كسيمفونية حركية تعتمد على "مخطط الجسم" (Body Schema)- وهو مفهوم يشير إلى البنية الحسية الحركية التي تجعل الجسد قادرًا على التكيف مع العالم (بن سباع وآخرون، 2014، ص 39). هذا المخطط يُظهر كيف يمكن للإنسان إدراك الأشياء، حتى مع تغيّر مواقعها أو أحجامها الظاهرة، لأنه يجمع بين الحركة والمعرفة بطريقة تُعيد صياغة العلاقة بين الذات والموضوع (Gallagher, 2005, p.24). الإدراك هنا لا يُفهم كاستجابة تلقائية، بل كفعل إبداعي يعيد تشكيل العالم المحيط عبر حوار لا ينقطع بين الذات والجسد من جهة، وبين العالم والآخرين من جهة أخرى.(Ricoeur, 1966, p.21).

لكن الإدراك لا ينحصر في التجربة الفردية، بل يتجاوز ذلك ليصبح وسيلة للتفاعل الاجتماعي وإعادة تشكيل الفضاء العام. وكما يرى فوكو، فالمؤسسات، مثل المدارس، السجون والمستشفيات، تمارس سلطتها عبر ضبط الأجساد وتنظيمها بطرق تخدم النظام الاجتماعي والسياسي السائد (Foucault, 1977). مع ذلك، يُظهر الجسد قدرة على المقاومة، حيث يتحول إلى أداة لإعادة صياغة العلاقات الاجتماعية والسياسية، كما يظهر في الحركات الاحتجاجية الكبرى، مثل الثورة المصرية (2011) والثورة اللبنانية (2019). تلك التي تُعيد تعريف الفضاء العام عبر أفعال جماعية جسدية منظمة تُعبر عن مطالبها الاجتماعية والسياسية .(Bishara, 2021, pp.162-220)

يتشابك هذا الفهم مع الأبعاد الجسدية والنفسية والاجتماعية للإدراك، مما يعزز إدراك الفرد لحضور الآخرين في عالم مشترك،حيث لا يُفصل الحاضر عن تأثيرات الماضي. حينها، يتشكل الفهم عبر حوار مستمر بين الحاضر والسياق الثقافي والتاريخي الذي يحيط به، مما يجعل الإدراك عملية تعكس التفاعل بين الفرد وتاريخه الاجتماعي. ويتلاقى هذا الفكر مع طرح هانز-جورج غادامر (1900-2002) (Hans-Georg Gadamer) حول دور الفهم التاريخي والثقافي في تشكيل الوعي (Johnson, 1993, pp.131-132؛ Gadamer, 1960, pp.305-306).

يبرز البعد الاجتماعي لفلسفة ميرلوبونتي بوضوح في كتابه "ظواهرية الإدراك"، حيث يبرز نظريتين مترابطتين: الأولى، وهي "نظرية التعايش الاجتماعي"، التي تؤكد أن الإدراك الفردي لا يمكن فصله عن المعايير الاجتماعية التي تشكل سياقه. أما النظرية الثانية، فهي "نظرية التغير الاجتماعي"، أو ما يمكن تسميته بـ"النظرية الثورية"، التي تعتمد على مفهوم "الحماس الغامض" كقوة دافعة نحو التغيير، حيث لا يدرك الإنسان نتائج أفعاله بدقة إلا بعد أن تتحقق وتؤثر في الواقع المحيط، مما يبرز الطبيعة الديناميكية والمتغيرة للثورات وفقًا للظروف التاريخية (Honneth, 1995, p.85).

في هذا السياق، يُشير ميرلوبونتي إلى أن امتلاك المهارات الجسدية والأسلوب الشخصي، يمكن الأفراد من تحقيق تفاعل اجتماعي متكامل ومشترك. يمكن تشبيه هذا التفاعل بلعبة كرة القدم، إذ يتحقق الانسجام عبر حركة اللاعبين التي تؤثر بشكل مباشر على تحركات الآخرين؛ مما ينتج نظامًا تعاونيًا يتطور باستمرار مع كل خطوة أو قرار. هذه الديناميكية تُظهر بوضوح كيف يمكن أن تخلق الأفعال الفردية والجماعية بيئة مُحفزة تُشجع على تحسين الأداء والعمل المشترك خلال لغة مشتركة بينهم (Gurwitsch, 1979, pp.110-138).

في إطار رؤيته السياسية، وبعد مرحلة من الالتزام بالمبادىء الماركسية في مؤلفه "الإنسانية والإرهاب"، انتقل ميرلوبونتي إلى نقد الأيديولوجيات الصارمة التي تشرّعن العنف باسم الثورة، معتبرًا أن مثل هذه الأيديولوجيات تُقوض الأسس الإنسانية التي تسعى لتحقيقها. من هذا المنطلق، تبنّى مفهوم الديمقراطية البرلمانية، بوصفها نظامًا يُتيح التفاعل الدائم والتجدد المستمر للشرعية السياسية، حيث تُصاغ القوانين والمعايير عبر الحوار المفتوح بين مختلف القوى الاجتماعية، بدلًا من فرضها قسرًا من قِبل أي جهة.

ويُظهر ميرلوبونتي نظرة متفردة إلى التاريخ، مؤكدًا أنه ليس مجرد سلسلة حتميات سببية ميكانيكية (Causal Mechanism) تُسيرها قوانين صارمة كما تصورتها الفلسفة الماركسية، بل هو عملية ديناميكية معقدة وحية تتفاعل فيها أفعال الأفراد مع المعاني الاجتماعية التي يخلقونها ويعيشونها. في هذا التفاعل، لا تنشأ المعاني من وعي الأفراد وحدهم، بل أيضًا من الرموز والتجارب غير الواعية التي تتسرب عبر السياقات الاجتماعية، لتُعيد صياغة النظام الاجتماعي والسياسي بشكل دائم.

إن هذه الرؤية تعكس تشابكًا سميكًا بين السياسة، الحياة الاجتماعية والتاريخ، حيث يرى ميرلوبونتي أن فهم منطق التاريخ يستدعي إدراكًا أعمق للبيئة الاجتماعية والثقافية التي تشكله، وهو مفهوم يجسد عملية إضفاء الطابع المؤسسي على التجارب الفردية؛ حيث تترابط التجارب في إطار رمزي يشمل الأنماط المشتركة والمهارات الجسدية. يُعيد هذا الإطار تشكيل المعاني عبر التفاعل المستمر بين الذات والآخر، ليصبح العالم، لدى ميرلوبونتي، شبكة حية من الأبعاد التي تتداخل باستمرار؛ مما يتيح للتجربة التاريخية أن تكون ديناميكية ومستمرة، خلاف النظرة الحتمية للمجتمع في الفلسفة الماركسية.

أولًا: الجسد كمساحة للتغيير الاجتماعي في فلسفة ميرلوبونتي

يتجاوز ميرلوبونتي، في فلسفته، حدود التحليل الفينومينولوجي للإدراك الفردي إلى مستويات أكثر تعقيدًا، حيث يربط الجسد بمفاهيم التغيير الاجتماعي والثورة، باعتبار الجسد أداة تُمارَس عبرها السلطة وتُبنى عبرها المقاومة. عبر تحليل فلسفي معمق، يُظهر ميرلوبونتي أن التغيير الاجتماعي ينبع من العلاقة الديناميكية بين الجسد والعالم؛ حيث يُعيد الجسد تشكيل الفضاء الاجتماعي والسياسي (Merleau-Ponty, 1945, pp.202-232).

كما يرى أن الثورة تعبيرٌ يربط بين الحماس الغامض والتعبير الإبداعي الذي ينقل المعنى إلى مستوى جديد. فلا يكون المعنى الثوري واضحًا حتى يجد وسيلة ملموسة للتعبير. تعتمد الثورة على إبداعية تتجاوز الدلالات التقليدية وتُنشئ معاني جديدة تتجاوز الحدود اللفظية (Merleau-Ponty, 1945, pp.213-228). لكن السؤال الذي نطرحه هنا هو: كيف يمكن للجسد أن يُعيد صياغة العلاقات الاجتماعية والسياسية في فلسفة ميرلوبونتي، خاصة في سياقات التحول الاجتماعي والثورات؟

1. الجسد كأداة للتغيير الاجتماعي

تجاوز الجسد، وفقًا لفلسفة ميرلوبونتي ماديته وفردانيته؛ ليُصبح أداة للتفاعل والإبداع والمقاومة. عبر مفهوم مخطط الجسم، يوضح ميرلوبونتي أن الجسد ليس مجرد وسيلة للإدراك الفردي، بل بنية حركية تُدمج التجارب المادية والإدراكية معًا، ما يُمكّن الإنسان من التكيف مع بيئته وتحديها. هذا الفهم يبرز أهمية الجسد في التغيير الاجتماعي، حيث يُعيد تشكيل الفضاءات الاجتماعية والسياسية في مواجهة السلطة.

استخدم ميرلوبونتي مفهوم "مخطط الجسم" لتوضيح كيف تُصبح الأدوات امتدادًا للجسد في عمليات الإدراك والتفاعل مع العالم. على سبيل المثال، فإن استخدام الهاتف الذكي في الحياة اليومية لا يُعد مجرد تفاعل مع أداة خارجية، بل يُمثل امتدادًا حيويًا للجسد في تنظيم الحياة وفهم العالم. هذه العلاقة بين الجسد والتكنولوجيا تبرز بوضوح في سياقات التغيير الاجتماعي، حيث تُسهم التكنولوجيا في تمكين الحركات الاجتماعية عبر تنسيق الحشود، توثيق الأحداث، وبثها بشكل مباشر.

في الاحتجاجات العربية، مثل الثورة اللبنانية (2019)، لعب الجسد المتفاعل مع الأدوات التكنولوجية – كالهواتف ومنصات التواصل الاجتماعي – دورًا محوريًا في إعادة تشكيل الفضاء العام وتوحيد الجهود الجماعية. علاوة على ذلك، يُعد الجسد وسيلة أساسية لإعادة بناء العلاقات الاجتماعية والسياسية، كما يظهر في الحركات الاجتماعية التي تعيد صياغة العلاقة بين الأفراد والمؤسسات عبر الأفعال الجسدية الجماعية.

على ضرب المثال، انطلقت أيضًا الثورة التونسية (2011) بفعل جسدي فردي عندما أضرم محمد البوعزيزي (Mohamed Bouazizi، 1984-2011) النار في جسده احتجاجًا على الظلم الاجتماعي والاقتصادي. هذا الحدث لم يكن مجرد تعبير فردي عن الغضب، بل مثّل لحظة فارقة في التاريخ العربي؛ إذ أعاد تشكيل إدراك الجماهير لعلاقتهم بالسلطة. وبالمثل، في الثورة المصرية (2011)، جسدت الأجساد المتجمعة في ميدان التحرير حالة من الوحدة الشعبية والرفض الجماعي للنظام السياسي، حيث تحولت هذه الساحات إلى منصات رمزية للتعبير عن المطالب الجماعية والدعوة إلى التغيير الاجتماعي.

2. مخطط الجسم: الإدراك والتفاعل

يعتبر ميرلوبونتي مخطط الجسم جزءًا جوهريًا من الإدراك (Merleau-Ponty, 1945, p.239)، حيث يرى أن مفهومي القبول الداخلي (interoception) والتقبل الذاتي (proprioception) يضفيان أبعادًا إضافية على تجربتنا الحسية ويمنحانها المعنى. وفقًا لهذه الرؤية، فإن كل حركة يقوم بها جزء من الجسد تُحدث تغييرًا في وضعية الأجزاء الأخرى، مما يُنظم الجسد ككل ويعزّز الانسجام بين التحفيز الموضعي والاستجابة، لتتشكل حركة معقدة متناسقة (Gallagher & Schmicking, 2010, pp.235-247).

وأخيرًا، تُترجم الانطباعات في المفاصل الحركية للأطراف إلى "لغة بصرية"، مما يعزز إدراكنا الحسي. بذلك، يمكن اعتبار مخطط الجسم بمثابة سجل ديناميكي للتجربة الحسية، يدمج بين الأبعاد الحسية المختلفة ويضبط الحركة ككل. ما يميز وظيفة مخطط الجسم هو قدرته على استبدال الأحاسيس وتداخلها؛ فعلى سبيل المثال، يستطيع الإنسان تحويل المعلومات البصرية إلى استجابة حركية بشكل فوري، مما يساعد الجسم على التنسيق السريع وفقًا للمعايير المطلوبة. كذلك، يشير ميرلوبونتي إلى أن تقليد أو محاكاة حركات الآخرين هو جزء من التفاعل الحركي، حيث يتأقلم مخطط الجسم ويتعلم عبر المحاكاة (أحمد وبن عمر،2021، ص 1959).

غير أن توماس متزنجر (وُلد 1958) (Thomas Metzinger) وجه نقدًا مهمًا لميرلوبونتي، مشيرًا إلى افتقار رؤيته إلى التركيز على العوامل الثقافية والاجتماعية المؤثرة في تشكيل مخطط الجسم. وفقًا له، فإن مخطط الجسم ليس محايدًا أو محصورًا في تجربة فردية بحتة، بل يتأثر بالعوامل الثقافية والسياقات الاجتماعية التي تحدد كيفية تكوين وتفاعل الجسم مع بيئته (Metzinger, 2009, p.64-78). على سبيل المثال، نجد أن التقاليد الثقافية المتعلقة بوضعيات الجلوس، مثل وضعية القرفصاء في اليابان، تُفرض على الأفراد منذ الصغر، مما تعيد تشكيل الجسد ليصبح قادرًا على التكيف الجسدي مع هذه الوضعيات.

كما يؤثر الاستخدام الجماعي للفضاءات العامة بشكل مختلف بين الثقافات؛ ففي بعض الثقافات الآسيوية، يعتاد الأفراد على مساحات ضيقة واحتكاك أكبر بالآخرين مقارنةً بما هو شائع في المجتمعات العربية والغربية، حيث تُقدّر المساحة الشخصية بشكل أكبر. حتى في ممارسات الحشمة، التي تعكس المنظومة الثقافية التي تعيد تشكيل الجسد كتمثيل رمزي للمعايير الاجتماعية والسلوكية، وتشمل الملبس وطريقة التصرف مع الآخرين وسلوكياتهم، نجد أن بعض الثقافات تغرس معايير جسدية صارمة تؤثر على الحركة وطريقة التفاعل مع البيئة. هذه الأمثلة وغيرها تدعم النقد الذي يقدمه متزجر لرؤية ميرلوبونتي، حيث يتضح أن تجربة الجسد هي تجربة ثقافية بامتياز وليست فردية بحتة.

يضفي هذا النقد بُعدًا فلسفيًا معاصرًا على فهمنا لمفهوم مخطط الجسم، حيث تبرز أهمية دراسة التأثيرات الثقافية التي تتخلل التجربة الجسدية، وتجعل الإدراك نفسه مشروطًا بالبيئة الاجتماعية. كذلك، يُظهر استخدام الأدوات اليومية، مثل الهواتف الذكية أو منصات التكنولوجيا الحديثة، كيف يمكن للجسد أن يتوسع ليشمل تقنيات جديدة تُعيد صياغة الإدراك.

على سبيل المثال، في الاحتجاجات الاجتماعية، تُصبح الهواتف الذكية وسيلة للجسد لإعادة صياغة الفضاء العام، حيث تتيح له القدرة على التعبير والتواصل بطرق جديدة لم تكن متاحة سابقًا. التكنولوجيا هنا ليست مجرد أداة خارجية، بل تُصبح امتدادًا للجسد تعزز من قدرته على التعبير والمقاومة، إذ يتفاعل الجسد مع الأدوات ويتأثر أيضًا بالبيئة الاجتماعية والسياسية المحيطة.

في الإضرابات الفلسطينية عن الطعام مثلًا، يُظهر الجسد صمودًا يُعيد صياغة العلاقة مع السلطة عبر استخدامه كأداة للمقاومة. هذه الأفعال لا تُعبر فقط عن رفض سياسي، بل تُحوّل الجسد إلى رمز للصراع، مما يُبرز مفهوم مخطط الجسم كمحرك ديناميكي في التغيير الاجتماعي والسياسي.

بالتالي، يمكّن مخطط الجسم الأفراد من فهم وتحليل العالم عبر إدراك تفاعلي حسي واجتماعي. هذه القدرة تُترجم إلى قدرة جماعية في الثورات، حيث تعمل الأجساد معًا لإعادة تشكيل النظام الاجتماعي. بهذه الطريقة، يمكن اعتبار مخطط الجسم قاعدة فلسفية لفهم الدور المحوري للجسد في التغيير الاجتماعي والسياسي، مما يُمهد الطريق للنظرية الثورية عند ميرلوبونتي.

ثانيًا: النظرية الثورية- الجسد والتغيير التاريخي

تُوصف نظرية التغيير الاجتماعي بأنها نظرية ثورية تقوم بها البروليتاريا؛ أي الطبقة العاملة في المجتمعات الصناعية، لكنها في العمق تعتمد على مفهوم التعبير. يقارن ميرلوبونتي بين الحركة الثورية والفنان الذي يبتكر معنى جديدًا عبر أدواته الفنية، إذ يعتبر كلًا منهما جزءًا من عملية إبداعية تتجاوز التكرار المحض وتُحدث تحولًا نوعيًا (Merleau-Ponty, 1945, pp.517-518). في هذا السياق، تصبح اللغة أو الفن تراكمًا للمعاني المنظمة، حيث لا يظهر المعنى الجديد كاملًا إلا عندما يجد شكله المناسب للتعبير عنه، وعندئذٍ فقط يكتسب وجوده الملموس.

في مفهوم التعبير، يُميز ميرلوبونتي بين "الكلمات المنطوقة" التي تُشير إلى معانٍ موجودة، و"الكلمات التي يجب أن تُنطق"؛ أي المعاني التي تتطلب تجسيدًا جديدًا يتجاوز اللغة التقليدية. هنا يظهر التعبير كعملية إبداعية تتطلب من الفنان نقل فكرة غامضة إلى لغة واضحة، مما يتيح للآخرين استيعاب هذا المعنى (Merleau-Ponty, 1945, p.210). ويعتمد التعبير أيضًا على تجاوز الدلالات الجاهزة، ليخلق معاني تتجاوز حدود الكلمات البسيطة إلى مستوى التفاعل الذي يدمج بين السياق الاجتماعي والنوايا الفردية.

ينعكس هذا التصور للتعبير في سياق النظرية الثورية، حيث تعتمد الثورة بدورها على إبداع جديد يعيد تعريف أسلوب التعايش الاجتماعي ضمن الإطار المؤسسي القائم، أي الطبقات الاجتماعية. وفقًا لميرلوبونتي، على البروليتاريا أن تعي طبيعة وضعها الطبقي كمجموعة تابعة، وأن تسعى لتغيير نمط حياتها بإعادة صياغة المعايير الاجتماعية، بحيث يُحدث هذا التغيير تحوّلًا في الإطار المؤسسي نفسه. هنا، يصبح الوعي الطبقي أداةً للانتقال إلى مجتمع جديد يتطلب من البروليتاريا إدراك أهمية مصيرها المشترك ودورها الفاعل في التغيير (Merleau-Ponty, 1945, pp.514-518).

كما وتتميز النظرية الثورية بكونها عملية تجمع بين الخلق والتكرار، إذ تعمل الثورة ضمن الأطر القائمة، لكنها تعيد صياغتها بطرق تبتكر نمطًا جديدًا من التعايش الاجتماعي. كما هو الحال في التعبير، تبدأ الثورة بحالة من "الحماس الغامض" غير المحدد الذي لا يجد معناه الكامل إلا عبر الفعل نفسه (Merleau-Ponty, 1945, pp.519-522). وحتى الدافع للثورة لا يتخذ شكلًا فكريًا بحتًا، بل هو مشروع وجودي ينبع من المشاركة الاجتماعية الوجودية للبروليتاريا. ولتحقيق هذه الثورة، يصبح إدراك البروليتاريا لمعنى "الحرية" هو الدافع الأساسي، إذ يعتمد على إعادة تقييم معنى التاريخ في لحظة الأزمة (Merleau-Ponty, 1945, pp.514-515).

فالوجود الاجتماعي للبروليتاريا يُبنى على حافز الثورة ضمن النظام الرأسمالي، ويتطلب نمط حياة مشترك يتيح لها إدراك مصيرها الجماعي والتعرف على العقبات المشتركة. بمعنى آخر، يتطلب هذا الوعي الطبقي من البروليتاريا رؤية النظام الرأسمالي كإطار يمكن تغييره وليس كحتمية غير قابلة للمساءلة. عند توافر هذه الشروط، يمكن للبروليتاريا أن تعيد توجيه علاقتها بالعالم نحو هدف واضح: تحويل حياتها عبر تحقيق معنى جديد للوجود. بهذا، يصبح الوعي الطبقي وسيلة لتحويل الحياة الجمعية للبروليتاريا، وتحقيق تحول حقيقي في التفاعل الاجتماعي ضمن إطار مؤسسي جديد يعيد صياغة العلاقات الإنسانية (Merleau-Ponty, 1945, p.200).

يظهر ذلك بوضوح في سياق الحركات الثورية التي تُعيد صياغة العلاقات بين السلطة والمجتمع عبر أفعال جسدية جماعية. في سياق الثورة، يُصبح الجسد جزءًا من حركة تاريخية تُعيد تشكيل النظام الاجتماعي والسياسي (Merleau-Ponty, 1945, p. ix). الثورة التونسية، كمثال، بدأت بفعل فردي سرعان ما تحول إلى شرارة لحركة جماعية غيّرت النظام السياسي في البلاد. الثورة المصرية، كذلك، تُبرز كيف يمكن للجسد الجماعي أن يُعيد صياغة الفضاء العام ويُحول الميادين إلى مساحات تُعبّر عن الرفض والتغيير.

إن النظرية الثورية في فلسفة ميرلوبونتي تتقاطع أيضًا مع فلسفة فوكو حول السلطة، حيث يتحول الجسد إلى موقع للصراع بين السلطة والمقاومة (Foucault, 1977, pp.273-280). عليه، تُمارس الأنظمة المؤسسية، مثل السجون أو التعليم، سلطتها على الجسد، لكن، الأجساد المنظمة في الحركات الاجتماعية تُعيد صياغة هذه العلاقات عبر الاحتجاج والإبداع (الخشت، 2018، ص 142،122).

عبر مفهوم التغير الثوري، يُبرز ميرلوبونتي أهمية الإدراك الجمعي في بناء الحركات الاجتماعية. فالأجساد لا تعمل بشكل فردي، بل كشبكة تفاعلية تُعيد تشكيل الواقع. هنا يظهر الترابط بين فلسفته وفكر أرندت، حيث ترى أرندت أن المجال العام يعتمد على الفعل التعددي والتفاعل بين الأفراد (Arendt, 1958, pp. 212-219). الفعل الثوري، إذن، ليس مجرد حركة سياسية، بل هو تعبير عن إدراك جماعي يُعيد صياغة العلاقات بين الأفراد والمؤسسات (عبداللطيف،2020، ص 22).

عليه، في فلسفة ميرلوبونتي، يتجلى الجسد كرؤية حية نابضة، يتجاوز كونه مجرد كيان مادي ليصبح أداة للتحول الاجتماعي، ومنبعًا للإبداع، وقوة للمقاومة (الشاروني، ح.، 1974، ص 141). مفهوم مخطط الجسم يُبرز كيف يُصبح الجسد وسيطًا يُعيد تشكيل العلاقات بين الفرد والعالم عبر التفاعل المستمر. كما وتُظهر الحركات الاجتماعية والتكنولوجيا المعاصرة كيف يمكن للجسد أن يتحول إلى مساحة للرفض والإبداع وإعادة بناء الفضاء العام. رغم ذلك، تواجه فلسفة ميرلوبونتي تحديات تتعلق بمحدودية تحليلها للهياكل المؤسسية والاقتصادية، مما يجعل المقارنة مع فوكو وأرندت ضرورية لفهم أعمق للعلاقة بين الجسد والسلطة.

فكما ذكرنا سابقًا، يرى ميرلوبونتي أن الجسد ليس فقط أداة فردية، بل وسيلة لإعادة تشكيل النظام الاجتماعي عبر التفاعل مع الآخرين. النظريات الثورية، كما يراها، تنبع من الإدراك الجماعي للظلم، الذي يتحقق عبر الجسد، حيث يُصبح الفرد قادرًا على التعبير عن معاناته والمطالبة بالتغيير عبر أفعال جماعية تُجسد مفهوم الثورة (Crossley, 2006, pp.39-49).

في هذا السياق، تختلف رؤية ميرلوبونتي عن الماركسية التقليدية. فبينما ترى الماركسية أن التغيير الاجتماعي يعتمد على الظروف المادية والاقتصادية، يُركز ميرلوبونتي على التفاعل الجسدي كعنصر أساسي في بناء الحركات الثورية. الجسد هنا ليس مجرد كيان مادي يتأثر بالظروف، بل هو أيضًا فاعل حيوي يُعيد تشكيل هذه الظروف. على سبيل المثال، في الثورة اللبنانية (2019)، تحولت الأجساد الجماعية إلى مساحة للاحتجاج الإبداعي عبر الأغاني والهتافات الموحّدة، مما أعاد تعريف الفضاء العام كوسيلة للتواصل الجماعي والمقاومة السلمية (Bishara,2021, pp.339-340). فأصبحت هذه الأغاني هي اللغة المشتركة الجماعية لمطالبة السلطة.

بالتالي، يرى ميرلوبونتي أن الجسد يُمثل وسيلة لإعادة تشكيل السلطة عبر المقاومة الجماعية، بينما يذهب فوكو إلى أن السلطة تُمارَس عبر الجسد عبر المؤسسات مثل السجون، والمدارس، والأنظمة الصحية (Foucault, 1977, p.171).

في المراقبة والمعاقبة (1990، ص 65-68)، يُوضح فوكو أن الجسد هو موقع تُمارَس عليه السلطة، لكنه أيضًا وسيلة يُمكن عبرها تحدي هذه السلطة. هذا التباين يُبرز محدودية تحليل ميرلوبونتي، حيث يُغفل دور البُنى المؤسسية التي تُعيد تشكيل الجسد وتُؤطره ضمن أنظمة السيطرة. ومع ذلك، فإن رؤية ميرلوبونتي تُكمل أفكار فوكو عبر التركيز على الذاتية للجسد وقدرته على التفاعل مع العالم بشكل مباشر، ما يُبرز دور الفرد في صنع التغيير. فأظهر إضراب الأسرى الفلسطينيين عن الطعام كيف يُمكن للجسد أن يُصبح أداة مقاومة تُواجه أنظمة القمع المؤسسية، محوّلًا الألم والمعاناة إلى لغة احتجاج فعالة (Yuill,2007, p.7).

ما يُميز فلسفة ميرلوبونتي هو رؤيته للجسد كحقل مفتوح للتفاعل المستمر مع العالم. هذا التفاعل لا يقتصر على اللحظة الثورية فقط، بل يمتد إلى إعادة بناء الفضاء الاجتماعي بعد الثورة. في هذا الإطار، يُمكن فهم الإبداع الجسدي في الثورات العربية، مثل الثورة اللبنانية، بوصفه تعبيرًا عن إعادة تشكيل الهوية الوطنية والاجتماعية.

الشعارات المكتوبة على الجدران، الرقصات، والأغاني الاحتجاجية تُظهر كيف يُعيد الجسد صياغة الفضاء العام ليعكس رؤى جديدة عن المجتمع والهوية. رغم ذلك، فإن تحليل ميرلوبونتي يواجه تحديات في التعامل مع الأنظمة المؤسسية التي تُمارس سيطرتها على الجسد. هنا، يُمكن استحضار أفكار أرندت التي ترى أن التفاعل في المجال العام يعتمد على التعددية والفعل المشترك (Arendt, 1958, pp.175-230). هذا التفاعل يُعيد تعريف المجال السياسي والاجتماعي عبر مشاركة الأفراد في إعادة بناء المؤسسات.

بناء على ما سبق، تطرح النظرية الثورية في فلسفة ميرلوبونتي الجسد كأداة فعالة للتغيير الاجتماعي والسياسي، حيث يتجسد فيه التفاعل بين الفرد والمجتمع في سياق التحولات العميقة، لكنها تحتاج إلى التكامل مع التحليل المؤسسي الذي يقدمه فوكو وأرندت لتوفير فهم شامل لديناميكيات

السلطة والمقاومة. على سبيل المثال، كيف يُمكن تفسير الاحتجاجات الحديثة التي تُمارَس عبر المنصات الرقمية؟ هنا تُبرز أهمية التفاعل بين الجسد الافتراضي والجسد المادي في مواجهة الهيمنة المؤسسية (Butler, 1993, p.59).

ثالثًا: الجسد والمؤسسة - إضفاء الطابع المؤسسي على الجسد

يضع ميرلوبونتي مفهوم "إضفاء الطابع المؤسسي" في إطار فلسفي يعكس جدلية التفاعل بين النظام الاجتماعي والأنظمة الجديدة التي تنشأ في سياقه. ويجمع هذا المفهوم بين جانبين رئيسيين: الأول هو عملية خلق نظام جديد يستند إلى تراكم التجارب والمعاني القائمة، والثاني هو إعادة تشكيل النظام الاجتماعي باعتباره الأساس المؤسسي لظهور هذه الأنظمة. عبر هذا التفاعل المستمر، تنبثق أنظمة جديدة من داخل البُنى الاجتماعية الراسخة، وتصبح بدورها أساسًا لتطورات اجتماعية متجددة.

انطلاقًا من هذا التصور، يرى ميرلوبونتي أن فهم منطق التاريخ وتطوره يتطلب وعيًا عميقًا بالبيئة الاجتماعية والثقافية التي يوجد النظام الاجتماعي ضمنها. فالأنظمة الاجتماعية ليست مجرد هياكل ميكانيكية تتبع قوانين سببية، كما في العلوم الطبيعية، بل كيانات تتطور عبر معانٍ ورموز اجتماعية ناشئة من السلوكيات التلقائية وغير الواعية للأفراد. يسعى هؤلاء الأفراد للعيش وفق شروط هذا النظام وقيوده دون إدراك كامل لمساهمتهم في إعادة تشكيله أو تغييره.

وعلى الرغم من أن الفلسفة الماركسية قد سعت إلى تفسير شامل للتاريخ عبر التركيز على العلاقات الاقتصادية والاجتماعية، فإنها أغفلت في بعض الأحيان "المؤسسات" باعتبارها الإطار الاجتماعي الذي يحتضن هذه العلاقات ويوفر سياقها. كما يشير عالم الاجتماع البريطاني نيك كروسلي (وُلد 1968) (Nick Crossley) (Crossley, 2006, pp.107-109)، فإن هذا الإغفال أدى إلى نقص في فهم الأبعاد الرمزية والتاريخية التي تُشكِّل النظام الاجتماعي وتمنحه معناه.

لتوضيح فكرة الطابع المؤسسي، يقدّم ميرلوبونتي مثالًا على لعبة كرة القدم كنظام مؤسسي؛ حيث لا تكتسب عناصر اللعبة كمنطقة الجزاء، وعواميد الهدف، وخطوط التماس أي معنى ذاتي، وإنما تستمد معناها من السياق المؤسسي الذي يربط هذه العناصر ويمنحها وظيفة محددة. وعلى غرار اللعبة، يعتمد النظام الاجتماعي على بنى ثقافية وتاريخية تمنح أفراده الإطار اللازم للفهم والتفاعل. كما أن " حركات الجسد التي يقوم بها اللاعب قبل تنفيذ ركلة الجزاء لها دور كبير في النتيجة، فإذا كان اللاعب متردد وفاقد للثقة، تظهر عليه طأطأة واضحة للرأس مع كتفين مترهلتين، فإنه يوحي برسالة ايجابية للحارس الخصم من أجل إمساكها"(أمين، أ، 2023، ص 399).

لكن بينما يُركز ميرلوبونتي على الوعي الذاتي للأفراد ودورهم في إدراك الأدوار الرمزية، يتناول فوكو المؤسسات الاجتماعية بوصفها نظامًا أوسع يمارس السيطرة ويضبط السلوك ضمن قواعد صارمة. في هذا السياق، تُعزز رؤية فوكو تحليل ميرلوبونتي عبر تقديم منظور أعمق للعلاقة بين المؤسسات الاجتماعية والسلطة.

ففي كتابه "Discipline and Punish" (Foucault, 1977, p.149)، يوضح فوكو أن الجسد ليس مجرد كيان مادي بل ساحة تُمارَس عليها السلطة عبر إجراءات دقيقة تهدف إلى تشكيل السلوك وتوجيهه. فبينما يُركز ميرلوبونتي على البنية الرمزية التي تربط الأفراد بالنظام، يرى فوكو أن المؤسسات مثل المدارس والسجون والمستشفيات لا تكتفي بتعريف الأدوار الاجتماعية بل تضبط الأجساد وتعيد تشكيلها وفقًا لمقتضيات النظام ولتحقيق الهيمنة.

على سبيل المثال، في السياق العربي، نجد أن المؤسسات التعليمية لا تقتصر على نقل المعرفة، بل تؤدي دورًا مهمًا في تشكيل الأفراد وفقًا لاعتبارات ثقافية واجتماعية تعزز أحيانًا الفوارق الطبقية. فالمدارس قد تُعيد إنتاج الفوارق الاجتماعية عبر سياسات ضبط جسدي تؤطر السلوك وفق قيم معينة (Howley et al., 2020, p.21).

وفي السياق الفلسطيني، نجد السجون كمثال حي على كيفية تحويل الجسد إلى وسيلة للمقاومة؛ إذ يستخدم الأسرى الإضرابات عن الطعام كأداة احتجاج، محولين الألم والمعاناة إلى لغة رمزية تعبّر عن رفض السلطة وقمعها (Nashif,2008, p.48). هنا، يقدم الجسد المادي والرمزي معًا وسيلةً للتعبير ضد قمع المؤسسات، مما يُبرز التشابه مع مفهوم فوكو للتحكم المؤسسي، ويعزز تفسير ميرلوبونتي للجسد كوسيط حيوي للتفاعل ضمن النظام.

ومن هذا المنطلق، يمكن القول بأن فوكو يعمق فهمنا لفكرة ميرلوبونتي حول "إضفاء الطابع المؤسسي على الجسد" في السياق الاجتماعي. ففي حين يعنى ميرلوبونتي بتصور الأفراد لأنفسهم وسلوكهم في إطار رمزي، يتناول فوكو المؤسسات الاجتماعية كبنية ثابتة تعيد إنتاج السلطة وتضبط السلوكيات بشكل دقيق وممنهج. هنا يظهر كيف يُصبح الجسد مساحةً للمقاومة والتحول؛ إذ تتجاوز أفعال الأفراد الطابع الفردي لتصبح جزءًا من شبكة تفاعلية تُعيد تشكيل الواقع عبر السلوك المؤسسي.

يمكننا تطبيق هذا التحليل على حركة حياة السود مهمة "Black Lives Matter" كنموذج معاصر يستخدم الجسد كوسيلة للتعبير والمقاومة ضمن إطار مؤسسي تهيمن عليه السلطة. فبينما يُمكن النظر إلى توثيق العنف عبر الهواتف الذكية ونشره بوصفه وسيلة لنقل الحقيقة، تتيح وسائل التواصل الاجتماعي مجالًا للتعبير عن رفض الظلم المؤسسي بطرق جديدة تتجاوز السيطرة التقليدية. هنا، تتحول الهواتف الذكية إلى امتداد للجسد مما يعزز قدرته على مواجهة السلطة وكسر احتكارها للرواية، ويعيد صياغة الفضاء العام ليصبح ساحة للتفاعل الاجتماعي والنضال المشترك (Zuboff, 2019, p.94).

عليه، يتضح أن مفهوم "إضفاء الطابع المؤسسي" لدى ميرلوبونتي يجسد تراكم الخبرات ضمن بنية تجمع بين الثبات والمرونة، سواء في المؤسسات التعليمية أو العقابية أو التكنولوجية، حيث يُعيد هذا المفهوم صياغة علاقة الفرد بالعالم عبر احتواء الجسد وضبطه. وبهذا، يتحول الجسد إلى وسيط يجمع بين الأبعاد الفردية والجماعية ويعكس تفاعلًا حيًّا مع الرموز والمعاني التي تتغير باستمرار.

ختامًا، تمثل فلسفة ميرلوبونتي تمازجًا بين الفلسفة الظاهراتية والتحليل المؤسسي، كاشفةً أن العالم ليس مجرد كيان خارجي بقدر ما هو مجال تتداخل فيه الأبعاد والمعاني عبر تفاعل مستمر بين الذات والعالم.

رابعًا: الجسد والفضاء العام -إعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية

مع التقدم التكنولوجي، أصبح الجسد يتجاوز حدوده المادية التقليدية ليصبح مركزًا للتفاعل الرقمي. يرى ميرلوبونتي أن الجسد هو وسيط للإدراك والتفاعل مع العالم، لكن التكنولوجيا الحديثة وسّعت هذا الوسيط إلى فضاءات غير مسبوقة، محاطة بشبكات رقمية تعيد صياغة علاقته بالآخرين وبالمؤسسات. لم تعد التكنولوجيا مجرد أداة منفصلة عن الجسد، بل امتدادًا له كما وضحنا سابقًا، مما يغير مفهوم الفضاء الاجتماعي والسياسي ويضع الجسد في مركز جديد للتفاعل (حسن، 2018، ص 32).

في هذا السياق، تعيد التكنولوجيا صياغة الجسد كحقل ديناميكي يتفاعل مع العالم بطرق جديدة. فالهواتف الذكية ومنصات التواصل الاجتماعي، على سبيل المثال، تُحوّل الجسد إلى نقطة اتصال وتفاعل لحظي، ما يجعل الجسد الرقمي امتدادًا للأفعال الفردية. في الحركات الاجتماعية الحديثة، تُظهر هذه التقنيات كيف يمكن للجسد أن يتجاوز حدوده المادية ليصبح أداة مقاومة جماعية رقمية. على سبيل المثال، في الثورة اللبنانية (2019)، استُخدمت الهواتف الذكية لبث الاحتجاجات مباشرة وتنسيق الحشود، ليصبح الجسد الرقمي وسيطًا للرفض والتعبير، مما يعزز دور التكنولوجيا كأداة لإعادة تعريف الفضاء العام (شعلان؛ مسعودي، 2021، ص 219).

يمكن توسيع مفهوم مخطط الجسم، من هذه النقطة، وتبعًا للتطورات العصرية السريعة، التكنولوجيا الحديثة، التي أصبحت جزءًا لا يتجزأ من الإدراك الجسدي. الهواتف الذكية، على سبيل المثال، لا تُستخدم كأدوات خارجية فحسب، بل تتحول إلى جزء من الذات المدركة التي تتفاعل مع العالم، مما يجعل التكنولوجيا امتدادًا لمفهوم "مخطط الجسم" (Merleau-Ponty, 1945, p.239). ورغم الإمكانيات التحررية التي تقدمها التكنولوجيا، فإنها تُعيد أيضًا إنتاج علاقات السلطة عبر سيطرتها الموسع والدقيق على البيانات ورصد الأنشطة.

هنا يتقاطع مفهوم ميرلوبونتي للجسد مع نقد فوكو لفكرة السلطة، حيث يرى فوكو أن السلطة تُمارس هيمنتها عبر أدوات المراقبة، ما يجعل التكنولوجيا الحديثة جزءًا من نظام الرقابة والتحكم. فالهواتف الذكية، على سبيل المثال، ليست فقط وسائل تواصل، بل هي أيضًا أدوات مراقبة تُعيد تشكيل الجسد ضمن إطار السلطة الرقمية، حيث يسهل بواسطتها مراقبة السلطة للأفراد والتحكم بمدخلاتهم الرقمية بشكل يومي.

ومع تطور الذكاء الاصطناعي والتقنيات القابلة للارتداء (wearables)، تصبح العلاقة بين الجسد والتكنولوجيا أكثر تعقيدًا، حيث تتحول الأدوات مثل الساعات الذكية والأجهزة الصحية إلى مراكز لتحليل البيانات واتخاذ القرارات. هنا، تُظهر هذه الأدوات كيف تعيد التكنولوجيا تشكيل الجسد كمجال ديناميكي للتفاعل مع العالم، لكنها تثير تحديات جديدة تتعلق بالخصوصية والسيطرة. في سياق الحركات الاجتماعية، قد تصبح هذه الأدوات جزءًا من شبكة الرقابة، مما يجعل الحاجة إلى مقاومة رقمية أمرًا ملحًا.

في إطار فلسفة ميرلوبونتي، يمكن اعتبار التكنولوجيا امتدادًا لمفهوم مخطط الجسم، حيث تصبح الأدوات الرقمية جزءًا من تجربة الإدراك والتفاعل مع العالم. يُظهر هذا الامتداد كيف يمكن للتكنولوجيا أن تعيد صياغة العلاقة بين الجسد والمجتمع، إذ توفر أدوات جديدة للإبداع والمقاومة، لكنها تطرح أيضًا ضرورة التحليل النقدي لفهم دورها في تشكيل مستقبل العلاقة بين الجسد والسلطة. بذلك، تصبح التكنولوجيا في فلسفة ميرلوبونتي أكثر من مجرد وسيط للإدراك، بل أداة مقاومة ديناميكية تعيد تعريف الفضاء الاجتماعي والسياسي. هنا يبرز التقاطع بين أفكار ميرلوبونتي وفوكو، حيث يتحول الجسد إلى ساحة للصراع بين الحرية والهيمنة، والإبداع الفردي والمقاومة الجماعية. بناءً عليه، تتطلب العلاقة بين الجسد والتكنولوجيا في العصر الرقمي رؤية فلسفية جديدة، تُعيد صياغة دور الجسد كمحرك للتغيير ومعقلٍ للمقاومة.

خامسًا: نقد فلسفة الليبرالية ودور الجسد في تشكيل الهوية والمقاومة الثقافية

تُظهر فلسفة ميرلوبونتي اهتمامًا كبيرًا بأهمية التفاعل الاجتماعي ودور الجسد في تشكيل الهوية الجماعية. بالنسبة له، امتلاك الأفراد للغة أو تقاليد مشتركة يمنحهم القدرة على فهم تعابير بعضهم البعض، سواء كانت كلمات أو إيماءات (بن سباع وبوقاف،2006، ص 62)، مما يشكّل أساسًا لمجتمع متماسك (العياري،2023، ص 44).

مع ذلك، فإن الأفراد لا يختارون انتماءهم الاجتماعي دائمًا بوعي، بل يجدون أنفسهم مرتبطين بهويات يفرضها المجتمع، مما يخلق توترات بين الفهم الذاتي والفهم الجماعي المفروض عليهم. في هذا السياق، يوجه ميرلوبونتي نقدًا لاذعًا لليبرالية، التي يراها عاجزة عن فهم الطبيعة المعقدة للعلاقات بين الفرد والمجتمع.

في كتابه "الإنسانية والإرهاب"، يوضح أن الليبرالية، رغم احتفائها بفكرة الحرية، تفشل في استيعاب أن الأفراد لا يعيشون في فراغ، بل ضمن

سياقات اجتماعية وتاريخية تحدد إمكانياتهم الفعلية. هذا التصور التجريدي للحرية يُؤدي إلى تناقضات جوهرية، إذ قد تُستخدم حرية بعض الفئات كأداة لقمع الآخرين. ويشير ميرلوبونتي إلى أن التركيز على المسؤولية الفردية، كما تروج له الليبرالية، يتجاهل الهياكل الاقتصادية والاجتماعية التي تعيق حرية الأفراد، محملًا إياهم وحدهم مسؤولية الفشل (Merleau-Ponty, 1947, pp.117-118).

يربط ميرلوبونتي هذه الانتقادات بفهم أعمق للجسد، حيث يعتبره وسيطًا حيويًا لفهم التفاعل بين الفرد والمجتمع. الجسد ليس مجرد كيان فردي، بل مساحة يتداخل فيها الفرد مع الآخرين ضمن إطار اجتماعي وثقافي. عبر هذا الفهم، يُبرز ميرلوبونتي أن الهوية ليست ثابتة، بل تُعاد صياغتها باستمرار عبر عمليات التفاوض مع القوى الاجتماعية والتغيرات الثقافية. فعلى سبيل المثال، يُمثل اللباس التقليدي في السياق العربي، كالجلباب والعباءة، رمزًا عميقًا للهوية الثقافية، لكنه في الوقت نفسه لا يظل بمنأى عن تأثيرات التحولات الثقافية والعولمة، التي باتت تفرض معايير جديدة للجمال والجندر. تُسرّع وسائل التواصل الاجتماعي من هذه التحولات، حيث تعمل المنصات الرقمية على تعزيز معايير غربية للجمال، مما يترك أثرًا واضحًا على تصورات الأفراد لأنفسهم، وعلى علاقتهم بجسدهم وبثقافتهم الأصلية.

ورغم ذلك، يظل الجسد أكثر من مجرد ضحية لهذه التغيرات؛ فهو يمتلك القدرة على المقاومة وإعادة إنتاج هويته. في السياق الفلسطيني، على سبيل المثال، تُصبح الدبكة التراثية أداة ثقافية فاعلة تُستخدم لتأكيد الهوية الجماعية في وجه محاولات الطمس والتهميش. أما في السودان، برزت الاحتجاجات النسائية كقوة مُلهِمة تتحدى القواعد الاجتماعية الراسخة، حيث أقدمت النساء على الكشف عن وجوههن واستخدام أجسادهن كأدوات للاحتجاج، مما ساهم في إعادة صياغة علاقات القوة والهويات الاجتماعية داخل المجتمع، وكسر قيود التقاليد التي كانت تُكبلهن لسنوات.على الصعيد العالمي، نجد حركات مثل حركة إيجابية الجسد (Body Positivity Movement) تُعيد تعريف الجمال ليشمل التنوع والاختلافات الثقافية، مع مقاومة معايير الجمال الموحدة التي تفرضها العولمة (Daniels, Gillen, & Markey, 2018, p.161). لكن هذه الحركات أيضًا تثير تساؤلات حول أثر العولمة على الهويات الفردية، حيث يرى بعض الفلاسفة أن هذه التحولات تنتج هويات هجينة، تعيد تشكيل الانتماء والثقافة.

بالنظر إلى هذه التحديات، يرى ميرلوبونتي أن الحل لا يكمن في استعادة الليبرالية أو استبدالها بأيديولوجيات صارمة، بل في تبني نظام ديمقراطي برلماني مرن يتيح مساحة أكبر للتفاعل بين القوى الاجتماعية المتعددة (حمدان، 2019، ص 25). الديمقراطية البرلمانية، كما يتصورها، ليست مجرد نظام سياسي، بل إطار يُمكن فيه إعادة التفاوض على القيم والمعايير المشتركة عبر الحوار والتفاعل. هنا، يلعب الجسد دورًا أساسيًا في هذه العملية الديمقراطية، باعتباره وسيطًا للتعبير والمشاركة، سواء عبر الاحتجاجات، الفضاءات العامة، أو حتى التكنولوجيا الرقمية.مع تطور التكنولوجيا الحديثة، تبرز آفاق جديدة لتعميق وتجديد الرؤية الديمقراطية. تُعيد الأدوات الرقمية، مثل وسائل التواصل الاجتماعي، الواقع المعزز والتقنيات التفاعلية، تشكيل معاني المشاركة السياسية والاجتماعية، مُفسحة المجال لفضاءات غير مسبوقة للتفاعل والتعبير. المنصات الرقمية، التي تُستخدم لتنسيق الاحتجاجات وإبراز الهوية الجماعية، باتت تُجسد امتدادًا للجسد، تُضاعف من قدرته على التعبير عن المطالب والمقاومة ضمن المجال العام، محولةً الفضاء الرقمي إلى ميدان جديد للصراع والتغيير.

ورغم هذه الإمكانيات، يُحذّر ميرلوبونتي من التعامل غير النقدي مع هذه الأدوات. فهي ليست كيانات محايدة؛ فكما تُوفر إمكانيات للتحرر وكسر القيود التقليدية، قد تسهم أيضًا في ترسيخ أنماط جديدة من السيطرة والمراقبة. وهكذا، تُصبح التكنولوجيا حدًا فاصلًا بين الإبداع والهيمنة، مما يستدعي وعيًا عميقًا لدورها المزدوج في إعادة تشكيل الفضاء العام وتوجيهه. بالتالي، فإن الديمقراطية البرلمانية في تصور ميرلوبونتي تتجاوز كونها مجرد هيكل سياسي جامد، لتغدو مشروعًا اجتماعيًا ينبني على حوار متجدد ومستمر بين الأفراد والمؤسسات. هذا التصور لا يقتصر على إدارة العلاقات السياسية، بل يهدف إلى إعادة صياغة التفاعل الإنساني ضمن فضاءات تُتيح التعددية والمشاركة. في هذا السياق، يمكن للتكنولوجيا، إذا استُخدمت بوعي وإبداع، أن تكون أداة قوية لدعم هذا المشروع، عبر توسيع آفاق التفاعل والمشاركة، وخلق فضاءات جديدة تُثري الحوار الديمقراطي. ومع ذلك، فإن هذه الإمكانيات التحررية للتكنولوجيا تستدعي فهمًا نقديًا عميقًا للعلاقات التي تربط بين السلطة، الجسد، والتقنيات الحديثة، لتفادي تحولها إلى أداة للهيمنة أو تقييد الحريات.

خاتمة

تتجلى فلسفة موريس ميرلوبونتي في تقديم رؤية منفردة لجسد، حيث يتعدى كونه مجرد كيان مادي أو أداة سلبية، ليصبح محورًا إبداعيًا قادرًا على إعادة تشكيل العلاقات بين الذات والعالم. الجسد، في تصوره، هو وسيط فاعل يحمل طاقة مزدوجة تجمع بين الإدراك الفردي والانخراط الاجتماعي، مما يمنحه دورًا حاسمًا في التفاوض على الهوية وإعادة رسم ملامح السلطة. فهو ليس مجرد وسيلة للمقاومة أو التعبير، بل تنبثق منه التحولات التي تعيد صياغة أنماط الحياة والوجود المشترك.

يرى ميرلوبونتي أن الديمقراطية البرلمانية، في جوهرها، تتجاوز كونها نظامًا سياسيًا تقليديًا لتغدو مشروعًا فلسفيًا واجتماعيًا يتأسس على مبدأ الحوار المفتوح والتفاعل الحر بين القوى المختلفة. هذا الفضاء الديمقراطي، الذي يُبنى على أساس من المرونة والتجدد، لا يقتصر على إتاحة المجال

للتعبير، بل يُمكّن الأفراد من إعادة تحديد مواقعهم داخل النسيج الاجتماعي بطرق أكثر تحررًا وإنسانية. في مواجهة التحديات الجسيمة التي تفرضها العولمة والتحولات الثقافية المتسارعة، تنهض فلسفة ميرلوبونتي كإطار فكري متجدد يعيد تعريف الجسد بوصفه المحور المركزي لإعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية والتاريخية. يُمكن لهذا التصور أن يُسهم في صياغة رؤى أكثر شمولًا للمشاركة السياسية والاجتماعية، حيث يتداخل الجسد مع الوسائط الرقمية والفضاءات العامة، لإعادة بناء الهويات الجماعية والمقاومة الثقافية. ومع ذلك، تبقى فلسفة ميرلوبونتي بحاجة إلى تكامل مع تحليلات معاصرة للهياكل المؤسسية والسياسية، مثل أفكار فوكو وأرندت، لتوفير رؤية أعمق لديناميات السلطة والمقاومة.

ختامًا، يتجلى مشروع ميرلوبونتي كصرخة فلسفية تخترق أعماق الفكر التقليدي، داعيةً إلى تفكيك الانقسام الراسخ بين الذات والعالم، وإعادة بناء الفهم الإنساني للجسد كبوابة حية يعبر عبرها التاريخ إلى الحاضر، ويُعاد فيها تشكيل الفضاء الاجتماعي وصياغة الديمقراطية بوصفها مشروعًا متجددًا. هذه الرؤية، بعمقها وشموليتها، تتحدى عالمنا المعاصر الذي تهيمن عليه التكنولوجيا؛ حيث تنسج الآلة والبشرية خيوطًا جديدة من التفاعل، تفتح فضاءات للإبداع والمقاومة، لكنها تحمل في طياتها إمكانات السيطرة والمحو. هنا ينهض السؤال الجوهري، كصرخة لا تخبو: كيف يمكن للفلسفة أن تستنهض جوهرها لتوجيه هذه التحولات التقنية نحو ديمقراطية تخلق توازنًا عميقًا بين شغف الحرية الفردية وصرامة العدالة الاجتماعية، دون أن تفقد إنسانيتها؟

المصادر والمراجع

أحمد، أ.، وبن عمر، س. (2021). إشكالية التعبير بين اللغة والفن عند موريس ميرلو-بونتي. *المدونة*، 8(2).

الخشت، م. (2018). *نحو تأسيس عصر ديني جديد*. (ط2). القاهرة: نيو بوك للنشر والتوزيع.

الشاروني، ح. (1974). *فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية*. مصر: المكتبة الانجلو مصرية.

أمين، أ. (2023). ميرلوبونتي في ضيافة الكرة المستديرة (لغة الجسد عند لاعبي كرة القدم). *سلسلة الأنوار*، 13(2)، 396-409.

بن سباع، م.، وبوقاف، ع. (2006). *فينو منولوجيا اللغة عند ميرلوبونتى. رسالة ماجستير*. الجزائر، جامعة الجزائر 2.

بن سباع م.، محمد، وآخرون. (2014). *الفلسفة الفينومينولوجية الوجودية عند موريس ميرلوبونتي: من أولية الوعي إلى مساءلة الوجود*. بيروت: دار الروافد للثقافة.

حسن، م. (2018). فينومينولوجيا الجسد عند ميرلوبونتي. *مجلة لوغوس مخبر الفينومينولوجيا وتطبيقها*، 9، 28-44.

حمدان، ع. (2019). النظام البرلماني: دراسة بعض الدساتير البرلمانية. *مجلة العلوم السياسية والقانون*،15.

شعلان، ح.، و مسعودي، أ. (2021). الفضاء العام وتطبيقاته الاجتماعية: مقاربة نظرية وتاريخية. الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، 13(1)، 213-231.

العياري، م. (2023). الفضاء العمومي وسؤال الحرية: جدل هابرماس وهونيث وفريزر. مجلة تبيُّن للدراسات الفلسفية و النظريات النقدية، 11(44)، 37-68.

وعزة، ا. (2015). *العقل والذاتية في فلسفة الحداثة من ديكارت إلى كانط*.الرياض: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.

عبداللطيف، ع. (2020). *تحليل الخطاب السياسي: البلاغة، السلطة، المقاومة*. (ط1). الأردن: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

فوكو، م. (1990). *المراقبة والمعاقبة: ولادة السجن*. بيروت: مركز الإنماء القومي.

مرلوبونتي، م. (1945). *ظواهرية الإدراك*. دار المعارف.

References

Arendt, H. (1958). *The Human Condition*. University of Chicago Press.

Bishara, A. (2021). *Sectarianism Without Sects*. Oxford University Press.

Butler, J. (1993). *Bodies That Matter: On the Discursive Limits of sex*. New York & London: Routledge.

Carman, T. (2008). *Merleau-Ponty*. Routledge.

Crossley, N. (2006). *Reflexive Embodiment in Contemporary Society*. England: Open University Press.

Daniels, E. A., Gillen, M. M., & Markey, C. H. (Eds.). (2018). *Body Positive: Understanding and Improving Body Image in Science and Practice*. Cambridge University Press.

Foucault, M. (1977). *Discipline and Punish: The Birth of the Prison*. London: Pantheon Books.

Gadamer, H. (1975). *Truth and Method*. Continuum Publishing Group.

Gallagher, S. (2005). *How the Body Shapes the Mind*. England: Clarendon Press.

Gallagher S., & D. Schmicking (Eds.). (2010). *Handbook of Phenomenology and Cognitive Science*. Springer.

Gurwitsch, A. (1979). *Human Encounters in the Social World*. PA: Duquesne University Press.

Honneth, A. (1995). *The Struggle for Recognition: The Moral Grammar of Social Conflicts.* Cambridge, Massachusetts: The MIT Press.

Howley, A., Hansen, B., Faiella, C. M., & Kroeger, S. D. (Eds.). (2020). *Inclusive education: A systematic perspective*. Information Age Publishing, Incorporated.

Johnson, M. (1993). *The Body in the Mind: The Bodily Basis of Meaning, Imagination, and Reason*. University of Chicago Press.

Merleau-Ponty, M. (1945). *Phenomenology of Perception*. Routledge & Kegan Paul.

Merleau-Ponty, M. (1947). *Humanism and Terror*. USA: Beacon Press.

Merleau-Ponty, M. (1973). *Adventures of the Dialectic*. Northwestern University Press

Metzinger, T. (2009). *The Ego Tunnel: The Science of the Mind and the Myth of the Self*. Basic Books.

Nashif, E. (2008). *Palestinian Political Prisoners: Identity and Community*. New York: Routledge.

Ricoeur, P. (1966). *Freedom and Nature: the Voluntary and the Involuntary*. Illinois: Northwestern University Press.

Yuill, Ch. (2007). The Body as Weapon: Bobby Sands and the Republican Hunger Strikes. *Sociological Research*,12(2), 111-121. https://journals.sagepub.com/doi/10.5153/sro.1348

Zuboff, S. (2019). *The Age of Surveillance Capitalism: The Fight for Human Future at the New Frontier of Power*. PublicAffairs.